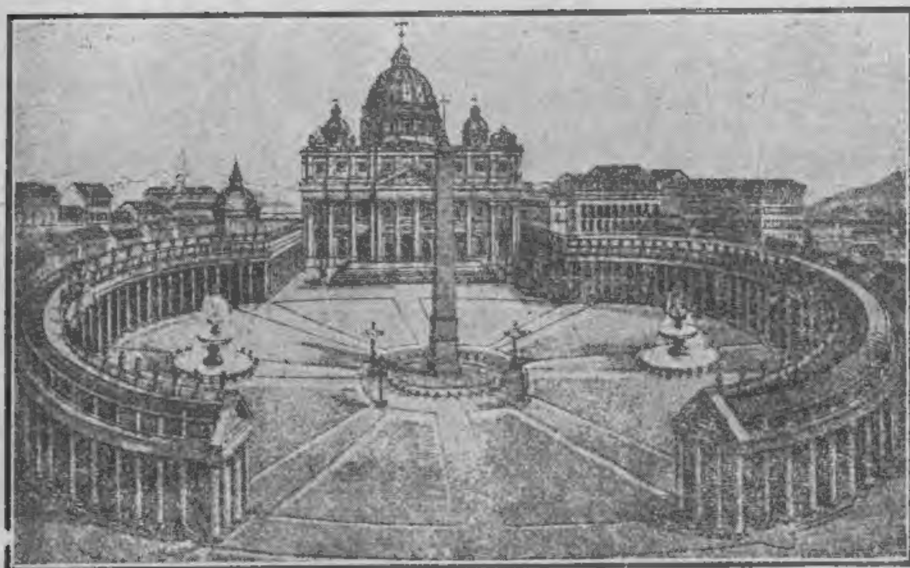
الدين لله والوطن للجميع

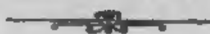
ايها الاب القدوس احفظ باسمك الذين أعطيتهم لي
ليكونوا واحداً كما نحن واحد

(يوحنا ١٧ : ١١)



روما قبلة العالم المسيحي

من طرق الباب * * *



في اليوم الاول من شهر شباط سنة ١٩٤٧ نشرت الاندية والجمعيات الارثوذكسية اليافية بياناً انحت فيه باللائمة على صاحب الغبطة السيد لويس برلسينا البطريرك اللاتيني الكلي الطوبى ، لحرمانه شخصين من افراد طائفته اللاتينية العربية في يافا ، لخروجها على طاعة الكنيسة ، وعدت ذلك التأديب الكنسي خطراً يهدد كيان الوطن . فلم نتصد لذلك البيان بطريقة مباشرة ، لا خوفاً او ضعفاً ، وانما تأدباً وضناً منا بالسلام والوئام ، وحفظاً للصلة الاخوية بين ابناء وطن واحد ينتمون الى كنيستين لعبت فيها — بادىء ذي بدء — العوامل السياسية والنزعات القومية في القرن العاشر الاعيبها مما ادى الى الشقاق الديني ، نازعاً من شجرة الكثلكة فرعاً ما زالت الكنيسة الرومانية تخلص له المحبة وتمحضه المودة . واكتفينا بادراج شرح ديني وافٍ على صفحات « السلام والخير » في العدد الثالث البارز في اليوم الاول من شهر اذار سنة ١٩٤٧ دفعنا فيه عنا تهمة التفرقة ، مميزين بين الدين والوطن وشارحين حقيقة الحرم وقصد الكنيسة منه .

إلا ان اتحاد الاندية الارثوذكسية العربية عاد فاذاع في اليوم العاشر من شهر ايار سنة ١٩٤٧ رسالة موجهة الى صاحب الغبطة البطريرك اللاتيني ينتقد فيها

موقف غبطته من فتاة لاتينية شقت عصا الطاعة على كنيستها ، وقد خلط الدين بالوطن ودعا اللاتين الى الخروج على طاعة كنيستهم ·

ورفعت « الراعي الصالح » و « الصخرة » الارثوذكسيتان اللتان تصدران في القطر المصري ، عقيرتها بالشكوى واتخذتا الشتم والسماجة كبرهان قاطع على خطا البطريرك اللاتيني وشذوذ الكثلكة !!! ·

* * *

ان ما في قلبي لافراد الطائفة الارثوذكسية الكريمة من عواطف التجلة والتقدير يقوي اعتقادي ان الفوارق الدينية الجوهرية بين ابناء الكنيستين سوف لا تؤثر في الصلات الحسنة السائدة بينهم ولن تكون الفوارق الدينية في القرن العشرين مسببة للشقاق الوطني ، كما تسببت الفوارق الجنسية في القرن العاشر في الشقاق الديني ·

هذا وان الصداقة الوفية التي تربطني بكثير من افراد الطائفة الارثوذكسية الكرام ، اخص منهم بالذكر السيد ميشيل قطران ، احد موقعي بيان اتحاد الاندية الارثوذكسية العربية ، تحملني على ان اضرب صفحاً عن كثير من السفاهات والمغالطات التي ركبت متنها « الراعي الصالح » و « الصخرة » خوفاً من ان اجرح شعور اصدقائي واخواني الارثوذكس الذين يسلمون معي بان الدفاع عن الرئاسة الدينية الغربية وتبريرها من تهمة المؤامرة على سلامة الوطن سوف لا يفصم بيننا عرى الود والصداقة · ورحم الله من قال : « فاختلاف الرأي لا يفسد للود قضية »

واني لعلى يقين بان اخوتنا الارثوذكس المفكرين وغير المغرضين يوافقونني على ان الاختلاف الجوهري في الدين سوف لا يؤثر في نضالنا المشترك في سبيل الوطن الواحد الذي تقدسه جميع الطوائف على اختلاف نحلها ومذاهبها ٠

هذا واني لواثق بان اخوتنا الروم الارثوذكس لا يعُدون التمسك بالدين تعصباً ، وعدم التفريط بمبادئه نعرة طائفية ، لكنهم يعترفون ويقرون بان التعصب في ان نتحمس لمبادىء لا نؤمن بها ، والنعرة الطائفية في ان نضحي بالمصلحة العامة على مذبح المصلحة الخاصة ٠ وان التآمر على سلامة الوطن يتأتى عن التعصب والنُّعرة الطائفية ، لا عن التمسك بالدين وعدم التفريط في مبادئه ٠

* * *

اني وطني متعصب لوطنيتي ، لكني غير مستعد ان ابيع ديني في سبيل الوطن ، لان الله فوق الوطن ، والوطن لم يطلب في يوم من الايام من ابنائه ان يضحوا بمبادئهم من اجله لان الدين لله ، والوطن للجميع ٠

إنا نحن معشر الكاثوليك نعترف ونقر بان بين الطوائف المسيحيه فوارق دينية جوهرية لا تفرق بينها في الوطن ، وان فرقت بينها في المعتقد ٠

إنّا نعترف ونقر بعقائد دينية جوهرية لا يسلّم بصحتها اخوتنا الارثوذكس ومن ثم لسنا ابناء كنيسة واحدة ، لكنا ابناء وطن واحد نفتديه بحياتنا ان اقتضى الامر ، لان الدين لله والوطن للجميع ٠

لذلك فان الكنيسة الكاثوليكية تهدف في شرائعها ونظمها وقوانينها الى المحافظة على وحدة كنيسة السيد المسيح الذي صلى من اجلها في عشية آلامه قائلا :

أَيها الآبُ القدُّوس أَحفظ بأَسمكَ ألذين أعطيتَهُم لي لِيكُونوا وَاحِداً كما نحنُ وَاحدٌ ، » (يوحنا ١٧ : ١١)

والى ان يكون

« للجَميع رَبٌ وَاحدٌ ، وإِيمانٌ وَاحدٌ ومعمودِيةٌ واحِدةٌ »

(رسالة القديس بولس الى اهل افسس ٤ : ٥)

فتصبح رعية واحدة لراعٍ واحد ، يجب ان تستمر روابط التعاون والاخاء بين شبان هذا الوطن العزيز ، وهذا التعاون وهذا الاخاء قائمان «على التفاهم والاحترام المتبادل وتقدير الواحد لشعور وعقائد الاخر »

كم كنت اود لو تروّى قليلا واضعو بيان اتحاد الاندية الارثوذكسية العربية فلم يذكروا مسألة التفاهم والاحترام المتبادل ، الحساسة .

فمن يا ترى لا يقدر ولا يحترم شعور الاخر ؟

يعلم الداني والقاصي ان عقد الزواج معترف به في الكنيسة الارثوذكسية سواء أتم بحضور كاهن ارثوذكس ام لا ، في حين ان الزواج على الطقس اللاتيني يجب ان يعقد امام كاهن ذي ولاية وهو اسقف الابرشية او كاهن الرعية او كاهن اخر مفوض من احدهما ، وباطل كل زواج يعقد خلافاً لهذا التشريع ، وان يكن قد تم بحضور كاهن كاثوليكي غير مفوض .

فلو كان اخوتنا الارثوذكس يقدرون ويحترمون شعورنا ، كما نحترم شعورهم، لما كانوا يضغطون على ضمير فتاة مسيحية لا تسمح لها قوانين دينها بالزواج خارج كنيستها ، ويرغمونها على عقد زواج في كنيسة تسمح لافرادها بان يتزوجوا اينما شاءوا .

فمن المتعصب اذاً ؟ من يسير بموجب شرائعه الدينية ام من يبالغ في التحمس لمبادىء لا تقرها كنيسته ؟

من منا لا يقدر ولا يحترم شعور الاخر ؟

الكنيسة الكاثوليكية التي لا تسمح قط باعادة عماد ابناء الكنيسة الارثوذكسية اما الكنيسة الارثوذكسية التي تعمد اللاتيني المعمّد ؟ وهل سمعتم يوماً بان الكنيسة الكاثوليكية ابطلت بالطلاق زواجاً شرعياً بين رجل وامرأة ارثوذكسيين ، تم بموجب قوانين الكنيسة الارثوذكسية ، وسمحت لكليهما او لاحدهما بالزواج ؟ ولكن كم وكم من زواج منعقد في الكنيسة الكاثوليكية قطعت الكنيسة الارثوذكسية اوصاله بالطلاق وقضت على وحدة العائلة ومستقبل البنين ؟ وعلى رغم انف التشريع الصارم الذي سنته حكومة الانتداب ، كم وكم من الكهنة الارثوذكس ما زالوا يباركون زواج اللاتيني المتزوج ، ولعلمهم بانهم يتعدون على الشرائع الدينية والمدنية يرفضون اعطاء شهادة الزواج حال كونه باطلا في نظر الكنيسة وفي نظر الحكومة وهربا من الغرامة ومن كفالة حسن السلوك ؟

أهذا هو التفاهم والاحترام المتبادل في عرف موقّعي بيان اتحاد الاندية الارثوذكسية العربية ؟

فالتعصب اذاً ليس في التمسك بالدين، وعدم التفريط في المبادىء الدينية ليس مؤامرة مدبرة من الرئاسة الروحية الغربية الجنس—على حد قول بيان الاتحاد— لايجاد الشقاق والتفرقة بين ابناء وطننا الجريح . وانما المؤآمرة على وحدة الوطن وسلامته تتأتى عن التعصب لمبادىء لا نعترف بها او نبالغ في التمسك بها ، وعن خلط الدين بالسياسة .

ان التمسك بالدين لا يهدد كيان الوطن ، وانما الخطر في ان نجعل الدين موطئاً لنرتقي عليه الى سدة الحكم ونشغل الوظائف ، فننظر الى الطائفية ، لا الى الكفاءة .

ومن ثم لم تكن النعرة الطائفية رائد السلطة الدينية الغربية عندما لم تداخل ولم تمنع افراد طائفتها اللاتينية العرب مؤازرة مرشح ارثوذكسي في انتخاب البلدية في بلد ما ، على الرغم من انهم خذلوا مرشح طائفتهم الاوحد . في حين ان النعرة الطائفية دفعت احد اخوتنا الارثوذكس في بلد اخر الى الوقوف خطيباً في جمعه محذراً من اعطاء اصواتهم لغير الارثوذكس .

اين النعرة الطائفية : ان يرأس ارثوذكسي نادياً لاتينياً سنتين، ام ان ينص قانون نادي الاتحاد الارثوذكسي العربي على ان يكون اعضاء الهيئة الادارية من الارثوذكس ؟

فبالقضاء على النعرة الطائفية نضمن التعاون والاخاء بين شباب هذا الوطن العزيز .

وعندما نضحي بديننا نكون قد اعملنا معاولنا لهدم صروح الوطن المقدس، لان من عتاد الحنث بدينه ضحى بوطنه لان من لا دين له لا وطن له .

* * *

واني لعلى يقين بان جميع افراد الطائفة اللاتينية العرب يقرون غبطة البطريرك على كل عمل يأتيه بصفته راعياً اعلى للابرشية الاورشليمية ، كما انهم لا يستطيعون ان يتبرأوا او يستنكروا هذا العمل الذي هو شريعة تقيد جميع ابناء الكنيسة الكاثوليكية اللاتيني طقسهم في جميع انحاء العالم ·

واني لعلى يقين أيضاً بان الكاثوليك اجمعين يعترفون و يقرون بان للكنيسة وحدها السلطان فيما يتعلق بالدين فهم كاثوليك لانهم يدينون بالطاعة للرئاسة الدينية وإلا لما كانوا كاثوليكاً ولو كان كل شخص ينصب نفسه لتعليم البشر عقائد الدين لكان قضي — من امد بعيد — على وحدة الكنيسة ، ولأصبحت الكثلكة شيعاً، وما قوة الكثلكة الا بوحدة الرئاسة والتعليم ، وبخضوع المؤمنين للسلطة · فرجال الدنيا، وان كنا نعتقد كفاءتهم وجدارتهم في الحقل السياسي والحقل الوطني ، نصارحهم انهم يجهلون كثيراً من الامور الدينية ، حسب قول السيد المسيح :

« أعترفُ لكَ يا أبتِ ربَّ السَّماواتِ والأرض ، لأنك أخفيتَ هذه عن الحُكَماء والعُقلاء ، و كشَفتَها للأطفال » (متى ١١ : ٢٥)

لذلك مها علا شأنهم وعظم قدرهم ، فانه يتوجب عليهم ان يجلسوا عند اقدام خلفاء الرسل الشرعيين ليسمعوا كلمة الحياة · وكل من يزعم ان منصبه العالمي يخوله سلطة تنصيب نفسه معلماً دينياً ، فهو على خطا ، يوقع من يتتلمذ له في اخطاء لا تحصى لانه «اذا كانَ أعمى يَقودُ أعمى فكلاهما يَسقُطان في حُفرة» (متى ١٥ : ١٤) · فالطاهي ، مهما بلغت درجة مهارته في استعمال السكين لتقطيع اللحم ، فهو طاهٍ ، لا يستطيع استعمال المبضع وتقليد نفسه منصب الجراح · وان

تطفل واجرى المبضع في جسم المريض كما يُجري السكين في قطع اللحم، كثرت ضحاياه . كما ان الصيدلي لا يستطيع لمجرد مهارته في تركيب اجزاء العلاج المختلفة تنصيب نفسه محامياً ، ولو فعل لاضطر موكلوهُ الى التضحية بكل ما يملكونه دون ان يقوى المحامي المقلّد ان يرفع عنهم جزءً من الضيم الذي يشكون منه ، اللهم ان لم يرسلهم جهله اصول المحاماة الى غياهب السجون .

* * *

وهنا لا بد من كلمة اوجهها الى «الراعي الصالح» و « الصخرة » الارثوذكسيتين فاقول : عندما يدخل الجدل او المناظرة او الانتقاد دور الشتم والنذالة والسفاهة ، يضطر الخصم الشريف الى الانسحاب من الميدان لترفعه عن مجاراة عدوه في الشتم والنذالة [1] حفظاً لكرامته وعلى كل ، فان لسان « الراعي الصالح » و « الصخرة » السفيه ، فان دل على شيء فعلى ضعف الحجة . لان الشتيمة حجة المفحم المهزوم .

لقد اشتهرت « الراعي الصالح » و « الصخرة » بعدائها للكثلكة فما زالتا منذ نشأتها تنفثان سموم الغيظ والحقد عليها تنالان من كرامة الحبر الاعظم والكثلكة وظنتا انهما بالشتم تحت ستار « محبة المسيح » تبلغان هدفهما . والكثلكة التي صمدت ازاء هجوم اعدائها فخرجت منتصرة غير مهشمة تعتبر تعسف الراعي « الصالح » و « الصخرة » كذبابة وقفت على رأس اسد فتعجبت لانه لم يشعر بوجودها .

---

(١) ورحم الله من قال

«ليس السفاهة من شأني فان عرضتْ
أعرضتُ عنها بوجهٍ بالحياءِ نَدِي» !

وابلغ جواب على لغة «الراعي الصالح» و«الصخرة» الوصف البديع الذي وصف به العلامة الافرنسي مونسابره (Monsabré) الكنيسة الكاثوليكية وثباتها على مرّ الاجيال وتغلبها على كل مقاومة واضطهاد وافتراء وبهتان ٠

قال : « كنت ذات يوم أتأمل في عظمة الكنيسة ومجدها وفيما هي فيه من النضال مع اعدائها ، واذا مشهد عجيب يتراءى لي : رأيت بحراً عظيماً في وسطه صخرة عليها بناء فخم تشع منه الانوار وتسمع الاصوات الرخيمة ٠ وفيما كان الخضم هائجاً ، والامواج مائجة ، والعواصف على اشدها ، رأيت البناء هادئاً مستقيماً ، كأن لم يكن حوله إلا سكون وسكوت ٠

كان المد والجزر يتحطمان على جوانبه ، وحيتان البحر تهدده بقوتها وضخامتها ، والنسور تنقض عليه ، والحشرات تتسلق جدرانه عاملة على قرضها ٠ واما البناء فلم يتأثر بل ظل هازئاً بتلك القوى الهدامة تشع منه الانوار وتشق الاصوات الرخيمة عنان السماء ٠ فتأثرت لذلك المشهد وخُيّل الي ان الحياة تنبعث من تلك الصخرة ٠ فهتفت من عمق فؤادي قائلا : ما عساكِ ان تكوني ايتها الصخرة التي ليس في العالم قوة تقوى على ان تزعزعك ! فسمعت من جوفها صوتاً يقول لبطرس :

انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » ٠

وختاماً لكلامي ادوّن هنا ما كنت نشرته في العدد الثالث من نشرة «السلام والخير» لسنة ١٩٤٧ ، وهو خير جواب على ما تتهمنا به بعض المقامات الارثوذكسية ، اي تهمة التعصب والتفرقة بين ابناء وطن واحد :

الدين لله والوطن للجميع

الدين علاقة البشر بالله . ولكل دين نظم يسير عليها اتباعه ، وقوانين يتقيدون بها، وتعاليم يعملون بموجبها . ولا تنطبق نظم دين ما ، وقوانينه وتعاليمه على سواه من الاديان ، والا لما تعددت الاديان . وكما ان الدول تنبذ الرعايا الذين يرفضون الخضوع لسلطتها ، بان تسحب منهم جواز سفرهم ، فيفقدون جميع حقوقهم المدنيـة ؛ والشركات تفصل الاعضاء الثائرين على نظمها بان تحرمهم من الامتيـازات التي كانوا يتمتعون بها ؛ والوالد يحرم الابن العاق من الميراث ، هكذا ايضاً ، فان الكنيسة الكاثوليكية — حال كونها هيئة كاملة منظمة — يحق لها رفت كل عضو يثور عليها ، بان تنزل فيه عقـاب الحرم التأديبي .

ولما كان الدين علاقة البشر بالله ، فان الوطن سوف لا يتأثر باي عمل يكون مصدره الدين . وان رؤي في المبادىء التي يسير عليها دين ما ، شيء من دواعي التفرقة ، فتلك الرؤية خطأ محض ، يوقع المرأ في خطأ آخر لا يقل عن الاول جسامة ، ألا وهو الاعتقاد أنه لا يمكن لابناء وطن واحد ينتمون الى اديان مختلفة ان يخدموا وطنهم خدمات متساوية، اي ان خدمة الوطن تتطلب ان لا يكون في البلاد لا مسلم ولا كاثوليكي ولا ارثوذكسي

ولا بروتسطنتي ، فنصبح قوماً لا دين لهم . اذاً فيجب ان نفهم ان الدين لا يفرق بين ابناء وطن واحد ، وان اختلفت مبادؤهم الدينية . فالمسلم والكاثوليكي والارثوذكسي والبروتسطنتي هم عرب مخلصون لبلادهم ، وان اختلفوا في طريقة خدمة الله ، وكان لكل مذهب من هذه المذاهب ان يحاسب اتباعه بمقتضى نواميسه وتعاليمه ،

لانه الدين لله والوطن للجميع

هذا وانا نعتقد جازمين بأنا لسنا بحاجة الى لفت نظر ابنائنا بالروح الى ان الدين شيء والطقوس الدينية — او كما يدعونها « الطقوس الطائفية » — شيء آخر . فالدين ، وهو مجموعة العقائد والاسرار المقدسة — ومنها الزواج — والوصايا ، لا يتغير ولا يتبدل، بل يبقى هو هو ، ما دام الله إلهاً ، لانه عزّ وجل قال : « الحق اقول لكم انه الى ان تزول السماء والارض لا تزول ياء او نقطة واحدة من الناموس » (متى ٥ : ١٨) .

واما الطقوس الدينية — والزواج ليس طقساً ، لكنه جوهر في الدين — انما هي مظاهر دينية لا علاقة لها بجوهر الدين ، ويمكن تغييرها دون اي مساس به .

لذلك يجب ان لا تخلط العقائد الدينية بالمسائل الوطنية . فعلى الرغم من الفوارق الدينية والاسس التي يسير عليها كل دين ، فكلنا للوطن . اما لو كانت الكنيسة تحرم من ابنائها من يتخذ من القومية العربية جنسية له ، لكان ما يتقولونه عليها صحيحاً. ولقد قالوا . « اننا في هذه البلاد ، عرب لا يفرق دين بيننا ، فكيف بان تفرق بيننا طقوس طائفية ؟ » .

وعليه ، لا تقصد الكنيسة الاساءة الى كرامة اية طائفة من الطوائف الاخرى عندما تفصل عن شركتها ، بتأديب الحرم ، من من ابنائها يخرج عن طاعتها ويضرب عرض الحائط بتعاليمها .

ولما كان الحرم امراً دينياً محضاً ، تنزله الـكنيسة في من يقترُف جرماً دينياً ، فليس في ذلك خطر على وحـدة ابناء وطن واحد ، ولا تهديـد لـكياننا العربي ، اذ ان

الدين لله والوطن للجميع

الاب البرت سوك الفرنسيسي



